مقدمة المترجم

كنتُ قرأت هذا الكتاب بلغته الإنجليزية وكان موضوعًا للحديث بيني وبين عدد من الزملاء الذين سبق لهم أن قرأوه. وأجمع هؤلاء الزملاء على أن الكتاب مهم وتجب ترجمته إلى العربية.

ولم يكن هذا الإجماع رأيًا خاصًّا بي وبهؤلاء الزملاء؛ بل كان رأيًا يتفق معه كل من قرأ الكتاب بلغته الإنجليزية. ومنهم الدكتور غازي القصيبي الذي عبَّر عن هذا الرأي بطريقته المعهودة، قائلا: "يا سليمان! لا تحرم أبناء هذا الجيل من نسخة عربية من الكتاب؛ فهم في حاجة إلى أن يتعلموا منك. أعني: أن الكتاب الموسوم "من عنيزة إلى وول ستريت: قصة حياة سليمان الصالح العليان" بقلم مايكل فيلد، لا بد أن يترجم، فوراً، إلى العربية؛ ويطرح، فوراً في الأسواق...." (المجلة العربية، ربيع الأول، ١٤٢٢هـ، ص ص٢٠-٢١).

وكان أول المتحمسين لترجمة الكتاب إلى العربية الأستاذ خالد سليمان العليان، نجل صاحب السيرة. ويتمثل رأيه، عن حق، في أن تجربة الشيخ سليمان الصالح العليان الغنية

والمتنوعة وعصاميته المتميزة إرث وطني عام، ويصوران كفاح جيل لم يتوفر له من الظروف ما يتوفر الآن لأبناء الجيل الحاضر، وهو ما يوجب ألا يكون الكتاب الذي يصورها حبيساً للغة الإنجليزية التي كُتب بها أول الأمر بل يجب نقلها إلى اللغة العربية لتكون في متناول القراء العرب.

وبعد ذلك عرض عليَّ الأستاذ خالد إنجاز هذه الترجمة. فوافق هذا هوى في نفسي. ذلك أن قصة حياة سليمان الصالح العليان التي يتضمنها هذا الكتاب جديرة بأن تروى، كما يقول مؤلف الكتاب.

وتُصوِّر سيرةُ الشيخ سليمان العليان مسار أولئك العصاميين من الأجيال الأولى في المملكة؛ فهناك عدد كبير من رجال الأعمال الذين بدأوا حياتهم من لا شيء تقريبا. أما السر وراء وصولهم إلى ما وصلوا إليه فيكمن، كما يقول الدكتور القصيبي، مرة أخري، عن سليمان العليان، في: "الانضباط! الانضباط! الانضباط!... [ف] مع الانضباط تجيء أشياء كثيرة عديدة: يجيء العمل الشاق من الفجر إلى منتصف الليل، وتجيء القدرة على التركيز على الهدف، وتجيء الرغبة في التعاون مع أفراد الفريق، ومع الانضباط تختفي أشياء كثيرة عديدة: يختفي الاهتمام الكاذب بالمظاهر، يزول الحرص على الترف، ويتلاشى الغرور".

وتَشهد هذه السيرة أن النجاح في الحياة يتطلب الوعي المبكر بوجوب تربية النفس على حب العمل والجد فيه، ثم حب التميُّز والسعي إليه. فقد بدأ الشيخ سليمان العملَ وهو في أوائل العشر الثانية من سني حياته، وهو لم ينتظر من يُرشِده أو يوجهه؛ ذلك أن بدء الحياة العملية في السنوات الأولى من العمر يُسهِم في بناء الشخصية السويَّة التي تعتمد على نفسها ويسهم في إغناء التجربة كذلك.

وكما قدمت، فقد دفعني إلى ترجمة هذا الكتاب إلى العربية أن قصة حياة سليمان العليان تصلح أن تكون نموذجًا مشرِّفًا للعصاميين من أبناء هذا الوطن، ونموذجًا يَصلح أن يقتدي به الشباب الطامحون. وليس المقصود أن يصل كل شاب إلى ما وصل إليه سليمان العليان؛ بل يكفي أن يسعى الشاب إلى المغامرة والجد في البحث عن الخصائص الموجِبة الكامنة فيه من أجل أن يحقِّق له مكانًا بين الناجحين مهما كانت درجة ذلك النجاح، وفي أي مجال كان. وليس مهمًّا أن يتميز الإنسان بما يحققه من ثروة؛ بل يمكن أن يتميز الإنسان في نواحي كثيرة من أنواع النشاط الإنساني السوية الممكنة.

وفي الختام أود أن أتقدم بخالص شكري للأستاذ خالد سليمان العليان على ثقته فيَّ وإتاحته الفرصة لي كي أقدم هذا الكتاب إلى القراء العرب.

وأود كذلك أن أتوجه بالشكر الجزيل للزميل الدكتور علي الخليف الذي كان حريصًا على أن يرى الكتاب مترجَمًا إلى العربية، وكان لتشجيعه أثر كبير في إنجاز هذه الترجمة.

وقد تفضَّل عدد من الأخوة المهتمين بقراءة مسودات متعددة لهذه الترجمة؛ وأسهم كل واحد منهم بقدر كبير في تلافي جوانب النقص فيها. وأشير هنا بصفة خاصة إلى الدكتور غازي القصيبي والدكتور سليمان السليم اللذين قرءا صورتين من الترجمة في وقت مبكر. كما قرأ المهندس عبد الله المعلمي صورة منها، وملأ هوامشها بملحوظات قيمة أسهمت في تلافي كثير من المآخذ. وقرأ الزميل الدكتور سعيد خلوفة صورة أخرى وأفدتُ منه في مراجعة بعض المصطلحات المالية. كما قرأ الأستاذ عزيز سرياني والأستاذ أميل بشوتي صورة أخرى وكانت ملحوظاتهما مهمة جداً.

ولا يسعني هنا إلا أن أتقدم بشكري الجزيل لهؤلاء الأفاضل الذين جعلوا الترجمة بشكلها هذا ممكنة. ويجب أن أشير إلى أنهم جميعا ليسوا مسؤولين، في نهاية الأمر، عما يمكن أن يكون فيها من قصور، أو مآخذ؛ فمسؤولية ذلك تقع علي وحدي.

وفي الختام أقدم شكرًا خاصّا للأستاذ جاسر البابطين على تعامله الراقي معي طوال فترة الترجمة، وعلى ما أسهم به من تصحيحات لبعض الأسماء والمصطلحات الواردة في الكتاب.

حمزة بن قبلان المزيني

الرياض

١٤٢٣/٢/١٥هـ - ٢٠٠٢/٤/٢٨م

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة المؤلف

قابلتُ سليمان العليان، وبعضَ كبار الموظفين في شركاته، لأول مرة في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات [من القرن العشرين] أثناء ما كنت أجَمع مادةَ كتابي "التجار". وكانت سيرةُ سليمان واحدةً من تسع سِيَرِ حياة تَضمَّنها ذلك الكتاب الذي يحكي تاريخَ بعضِ الأسر التجارية في المملكة العربية السعودية والخليج، وكانت السيرةَ الوحيدة التي لفتت أنظارَ أكثر المعلِّقين في المراجعات التي نُشرِت بعد ظهور الكتاب في سنة ١٩٨٤. وربما كان سبب ذلك كونها مثالاً نموذجيّاً لقصص النجاح والانتقال من "الفَقْر إلى الوَفْر" التي يَألَفها الأمريكيون والأوروبيون ويُعجَبون بها.

وكنت أقابل سليمان من وقت لآخر في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، وذلك في مناسبات لا علاقة لها بالكتب أو الصحافة غالبًا. وقد اتصل بي في أوائل سنة ١٩٩٧ وأبدى رغبتَه في أن يحكي قصة حياته بالتفصيل. وأبلغني بأن لديه من المعلومات ما يفوق القَدْر الذي سبق أن قَصَّه عليَّ هو وكبارُ الموظفين في شركاته حين كنت أجمع مادة كتاب "التجار"، وأن هناك عددًا كبيرًا من أصدقائه وشركائه من رجال الأعمال

يمكن له أن يعرِّفَني بهم [من أجل جمع معلومات أكثر عنه]. ثم سألني إن كانت لديَّ الرغبةُ في كتابة سيرة حياته الرسمية. وناقشنا من بَعْدُ هذه الفكرة في عدد من الاجتماعات. ثم وافقتُ على القيام بهذا العمل، وعرَّفَني موظفوه بالأشخاص الذين أشار إليهم بحسب الاتفاق. وكانت حصيلة ذلك تَضمُّنِ هذا الكتاب معلومات تفوق بكثير ما تَضمَّنه الفصلُ الخاص بالعليان في كتاب "التجار" – فهو يحوي معلومات أكثر تفصيلاً عن حالات الإخفاق التي تعرَّض لها والصعوبات التي واجهها والمشاريعِ التي لم يُنجِزها على الوجه المخطَّط لها.

وسيرةُ حياة سليمان قصةٌ رائعة حقا. ذلك أنه وُلِد في عالَم المملكة العربية السعودية الفقير القاسي قبل ظهور النفط، ومع ذلك فهو يُعَدُّ الآن، وهو في الثمانينيات من عمره تقريبًا، واحدًا من أكثر أغنياء العالم ثراء. وهو لم يَجمَع ثروتَه، على النقيض من بعض معاصريه من الأثرياء، عن طريق الانغماس في التعاملات التي تتوسل بالمكانة والوساطة اللتين تشوبان ترسيةَ كثيرٍ من العقود الكبيرة في المملكة والخليج. بل الواقع أنه بذل جهدًا فائقًا لكي يؤسِّس شهرتَه على الاستقامة المُطلَقة. وهو محَطُّ إعجاب أكثر الذين يتعاملون معه وموضع تقديرهم. كما أنه، في نهاية الأمر، رجل ثريّ له أصدقاء كثيرون وأعداء قليلون.

وتتمثَّل مفاتيحُ نجاحِ سليمان في العمل الشاقّ والاستقلال بالرأي وحُبِّ العمل لِذاته والقدرةِ الفائقة على التعامل مع الثقافتين العربية السعودية والأمريكية مَعا. وكان من أبرز الخصائص التي تُميزُ أكثرَ رجال الأعمال السعوديين والخليجيين الناجحين من جيل سليمان قدرتُهم على العمل جِسْرًا بين مواطنيهم وبين الأمريكيين والبريطانيين. وكان رجال الأعمال هؤلاء قد حصَّلوا تعليمهم في الهند أو في البحرين، وهي التي كانت أكثر تعرُّضًا لتأثيرات العالم الخارجي من المناطق الأخرى في الجزيرة العربية والخليج، ثم بدأوا حياتهم العملية في وظائف الترجمة في شركات النفط، أو في العمل معها في أعمال المقاولات أو في تمثيل الأُسَر الحاكمة في العقود التجارية مع هذه الشركات، أو العمل في الهيئات السياسية البريطانية في الخليج أو في الهيئات البريطانية والأمريكية التي كانت تَعمَل في توزيع المواد الغذائية في هذه المنطقة خلال الحرب العالمية الثانية.

وتَميَّز سليمانُ عن غيره باهتمامه الفائق بالثقافة الأجنبية. إذ لم يعمل مع الأمريكيين بشكل متميز وحسب؛ بل صار شَغوفًا بمعرفة الكثير عنهم وعن بلادهم وعن شركاتهم، وعن الكيفية التي تسير بها الحياة في المجتمع الأمريكي. وقد استطاع في الخمسينيات والستينيات، حين أَخَذ يُسافر إلى الولايات المتحدة

بصورة منتظمة، أن يتعرَّف على العاملِين في المؤسستين السياسية والاقتصادية هناك. وكانت استثماراتُه في أسواق الأسهم الوسيلةَ التي مهَّدت له ولبعض كبار الموظفين في شركاته طريقًا لأن يُدعوا للمشاركة في عضوية مجالس الإدارة، وفي عضوية اللجان في بعض الهيئات الاقتصادية. وقد دَفعتْه الرغبةُ في مساعدة مواطنيه وإحساسه بالمسؤولية نحوهم إلى دخول معترك الحياة السياسية في الغرب بطريقته الخاصة. إذ دأب على مناقشة الصراع العربي الإسرائيلي مع عدد من وزراء الخارجية الأمريكية، كما كَتبَ عددًا من المقالات الصحفية، وسَمَح في بعض الأحيان بإجراء بعض المقابلات الصحفية معه، وساعَد بعضَ أصدقائه الأمريكيين والأوروبيين بإسداء النُّصْح لهم في شؤون الاقتصاد والسياسة في الشرق الأوسط. ولم تتوفر هذه القدرة وهذه الثقة بالنفس للقيام بهذه النشاطات إلا لعدد قليل من العرب. ولم تكن الثروة التي يمتلكها سليمان العاملَ الوحيدَ الذي جَعلَه يَختلِف اختلافًا يكاد يكون جذريًّا عن رجال الأعمال السعوديين الآخرين من جيله، بل يعود ذلك أساسًا إلى فهمه العميق للسياسة والاقتصاد الغربيين واهتمامه بهما.

تَفضَّل عددٌ كبير من الأشخاص بمساعدتي في إعداد هذا الكتاب. ويجب عليَّ في البداية أن أشكر سليمان وأفراد أسرته، وهم: زوجته ماري، وابنه خالد، وكريماتُه: حياة، وحَذامِ، ولُبْنى،

وحفيدتُه الكبرى لِينّ. كما تَحدثتُ في عدد من المناسبات إلى عزيز سرياني، رئيسِ شركة العليان للاستثمارات، وقابلتُ بعض المديرين وبعض كبار الموظفين في شركات العليان، ومنهم: أكرم حجازي وجبرائيل سابا، في أثينا؛ وسمير طوباسي وخالد الأخرس وجون دنبار وناجل هستنجز، في لندن؛ وريموند ديفني، وريتشارد هوبسن، وأليس فونتين، وخليل براج، والراحل: روبرت مارش، في نيويورك؛ وعبد الله المعلمي، وجاسر البابطين، وأحمد باناجه، في الرياض؛ وكلايف منتو، وريتشارد ثورن، وعبد الله العوهلي، وخالد سلمان خان، وجيمس وليمز، وفريد محرم، في الخُبَر.

كما تحدثت في أوروبا وأمريكا والمملكة العربية السعودية إلى عدد كبير من أصدقاء سليمان، وإلى عدد من شركائه التجاريين وموظفيه السابقين. ويطيب لي أن أوجه شكري إلى: باترك ماكدوجل، والسير مارك تومسون، والسير وليم بورفيس، وهنري كيسويك، وديفيد نيوبجنج، ونيفن دنكن، ولورد برايز، والسير إفيلين دي روتشيلد، ومينوس زومباناكيس، وجون هيل، والسير جيمس كريج، في لندن؛ ورينيه جوت، ولوكاش موهليمان، وكارل ريتشموث، في سويسرا؛ وفيدريكو ليبرهايد، في إسبانيا؛ وريتشارد بْلِس، وهاوارد كلارك، وريتشارد ديز، ووليم فلاوارز، ووليم جريدلي، وروريك حلبي، وجون هايمن،

وريتشارد جينريت، وزاهي خوري، وكارل موليز، وبيتر بيترسون، وجيمس روبنسون، وديفيد روكفلر، والدكتورة إلينور شيلدن، وولتر شيبلي، والسير دينيس ويذرستون، في نيويورك؛ وأشكر، من أماكن أخرى في الولايات المتحدة، كلاً من: هـ. كلارك جريسوولد، والدكتور جراهام ت. أليسون، والدكتور جورج هاتسوبولس، والدكتور س. فريد برجستين، وكاسبر واينبرجر، والدكتور جيمس زغبي، ولوشيو نوتو، وأميل بشوتي، والدكتور ريتشارد فورستر، ووليم شاندلر، وفرانك ينجرز، وستيفن بكتل الابن، ومايرن دوبين، ورودي جرامتر، وفرانك هارينجر، والدكتور راي إيرني، وروبرت عبود؛ ومن المملكة العربية السعودية: عبدالعزيز القريشي، وخالد التركي، والدكتور عبدالعزيز الخويطر، وحسن المشاري، وخالد الحاج، والدكتور سليمان السليم، ومحمد أبا الخيل. كما أسهم جاك ساندرلاند في إعداد هذا الكتاب.

مقدمة صاحب السيرة

قررتُ أخيراً أن تُكتَب سيرةُ حياتي بعد سنين من حضٍّ أصدقائي وزملائي لي على تدوينها. وهي الآن بين يديك أيها القارئ الكريم، مع شكري للأشخاص الكُثْر الذين أسهموا في إنجازها، وبخاصة مايكل فيلد. لقد كانت حياتي هي العمل. ولن يكون لأيٍّ نجاح حققتُه القيمة التي له إن لم يكن ذا فائدة للأجيال القادمة من رجال وسيدات الأعمال السعوديين. وسوف يتوفر لهم من الفرص أكثر مما توفر لي؛ لكن كثيراً من التحديات الجديدة سوف تواجههم أيضا. وأرجو أن يكتشفوا، إن شاء الله، الرضا العميق الذي سيجْنيه كلُّ واحدٍ منهم من بَذْلِ أقصى ما يَستطيعه من جُهْدٍ بصرف النَّظَر عن الصعوبات - ثم يتعلم ما يستطيعه من كل خطوة يخطوها عبر الطريق.

سليمان الصالح العليان

ديسمبر ١٩٩٩م

obeikandl.com